

فنيقيا

ما هو أصل تسميتها

أي القرية الحديثة ، كما كان يسميها أهلها ،
القرطاجيون .

ومن الطبيعي اذا أردنا البحث عن أصل تسمية
(قرطاجة Cartago) اننا لا نصل الى نتيجة صحيحة
لو طلبنا في المعجم مادة (قرط) أو (قرطج) أو (كرت)
أو أي شيء من هذا القبيل . لهذا لا ترجى فائدة من
تحصيل كلمة (الفنق) بحثا عن اسم (الفنيقيين) ،
فلعله مثل اسم قرطاجة مشتق من مادة عربية أخرى
بعيدة عن نطقها الاوربي .

هذا نقوله ان كانت لفظة (فنيقيا) تمت الى أي نسب
عربي أصلا ، لان من المحتمل أن تكون من وضع
الاوربيين أنفسهم مثل (ميزوبوتاميا Mesopotamia)
- أي بين النهرين - وهي كلمة اغريقية لا صلة لها
بلغة النهرين . فهل اسم (فنيقيا) فنيقي الاصل أم
اعجمي ؟ هذه مشكلة ثانية .

اكتشفت ذات يوم ان كلمة Phoenix التي تعني
بالانكليزية طائرا خرافيا مقتبسة من كلمة (عناق)
العربية - عن طريق الاغريقية - بعد ابدال حرف العين
فا، في أول الكلمة ، كما يقع في اللغة العربية نفسها
أحيانا مثل : جدع وجدف ، عرك وفرك .. ولا سيما
ان الاغريق عرفوا أن (فنيقس foinix) هذا طائر
خرافي من بلاد العرب .

والذي يهمنا الآن هو أن كلمة Foinix الاغريقية
لها معنى آخر يتصل اتصالا مباشرا وثيقا بموضوعنا ،
وهو أنها اسم (فنيقس بن امينتور Amyntor معلم
أخيل Achilles الملك الاغريقي ورفيقه في حرب
طروادة التي يظهر أنه أحسن البلاد فيها بحيث غدا من
أبطال الألياسة . وقد ذكرت الاساطير أنه (أبو

طالما سألت نفسي : ما هو الاصل العربي لاسم
(فنيقيا) ؟ وبتمبير آخر : ما الاسم الذي كان
(الفنيقيون) أنفسهم يطلقونه على بلادهم فاقتبسه
الاوربيون بصيغة (فنيقيا) - Phoenicia بالانكليزية
و Phénicie بالفرنسية - وسموا أهلها
(الفنيقيين) - Phéniciens Phoenicians فجازيناهم
نحن في التسمية ؟

فعلت أول ما يتبادر الى الذهن طبعاً وهو مراجعة
المعجم العربي للبحث عن مادة (ف ن ق) ، فوجدت أن
(الفنق) - كالبرق - يعنى النعمة والاناة بوجه عام ..
وان (الفنيق) - كالانيق - هو الفحل المكرم من الابل
لا يؤذى ولا يركب لكرامته .. وان الغلام (المفتق)
- كالمثاق - والجارية (الفنق) - بضم الفاء والنون
او (الفنق) هما المنعمان .. وان (الفنيقة) هي المرأة
المنعمة ، او الوعاء أصغر من الفرارة ... الى آخر ما
هنالك . وكل واحدة من هاته الالفاظ - حتى الوعاء
الذي هو أصغر من الفرارة - يمكن أن تكون الاصل
العربي لكلمة (فنيقيا) ، ويمكن الا تكون . فمن العبث
اذن أن نحاول استنباط شيء له وزن علمي من هذه
الالفاظ وامثالها أو أن نحاول تطبيق هذا المعنى أو
ذلك على الاسم دون نص صريح أو سند يعول عليه .

فالو مشكلة تجابهنا اذن هي : هل لفظة (فنيقيا)
مصوغة من مادة (الفنق) العربية ؟ ذلك بأن تحريف
اسماء الاعلام ولا سيما عند غير أهلها يتجاوز حدود
التخمين أحيانا ، مثل اسم : البندقية من Vinezzia
بالايطالية ، وايفان Ivan بالروسية من يوحنا ،
و (قرطاجة) (من Carthage بالانكليزية والفرنسية
وهذه من Cartago باللاتينية) من (قريات حدشمت)

كانوا يعيشون فيها كما هي العادة في تسمية معظم شعوب البشر ؟

ونمة ملاحظة أخرى هي أن اللاتين أطلقوا هذه الصيغ على الفينيقيين والقرطاجيين جنهما . بل ان بعض الصيغ البائية الانفة أصبحت مع الزمن أدل على القرطاجيين منها على الفينيقيين حتى ان اللغة القرطاجية صارت تدعى Punique بالفرنسية و Punic بالانكليزية من Punicus اللاتينية . ودخلت هذه التسمية في اللغة العربية أيضا فدعوا اللغة القرطاجية (بونيقية) او (بونية) .

وبعض المعاجم يفسر هذا الازدواج في التسمية بأن السبب هو كون القرطاجيين مستعمرين فينيقيين في الاصل . ولكن ما للرومان ولهذا ؟ ان مدينتهم روما نفسها لم تكن قد ظهرت فح الوجود عند تأسيس قرطاج (814 ق م) ، لان روما تأسست بعدها بستين سنة ، أي عام 753 او 754 ق م ، على الشاطئ . فما الذي دعاهم الى هذا التمسك العلى بالواقع التاريخي الذي لم يدركوه أصلا ، فسموا أهل قرطاج باسم وطنهم الاول فنيقيا ؟ الحق أن الاغريق أقدم من الرومان فهل عنهم أخذ الرومان المحدثون تسمية القرطاجيين فينيقيين ؟ يجوز . ولكن ألم تكف القرون المتوالية لجعل الرومان يميزون بين الفريقين ويدعون القرطاجيين الذين كان لهم كيانهم الخاص وامبراطوريتهم الكبيرة باسم خاص بهم غير اسم الفينيقيين ؟ فهذه مشكلة سادسة . واسترعى نظري في مجلة (اللسان العربي) (I) تصوير بالزنكوغراف لوثيقة تاريخية هي نقش على رخامة وجدت في البرازيل ، مكتوبة باللغة القرطاجية - عام 125 ق م - يصف أصحابها محنة وقعوا فيها من أسر ومرض وهلاك . وتتألف الاكثوبة من ثمانية أسطر هذا نص السطر الاول منها :

«هنا احنا بنى كنعان م فريم حقره حمل . أو ش
حر حصل هك ؟»

وترجمته بعربيتنا وكتابتنا :

«هنا نحن بنى كنعان من فرايم حملنا الحفارة . اليس
حراما ان نحصل هكذا ؟»

الفينيقيين) ، أي ان اسمهم من اسمه . وقد يبدو هذا في تفتيشنا عن أصل تسمية الفينيقيين كشفنا مهما يلقي على المسألة ضوءا جديدا ، غير أنه في الواقع يلقي عليها ظلاما جديدا ، لانه يخلط بين اسم الفينيقيين واسم العنقاء .

فهل لاسم فينيس بن أمينتور ، أبى الفينيقيين المزعوم ، علاقة باسم العنقاء جفا ؟ هذه مشكلة ثالثة . هل كان الفينيقيون يتسمون بالعنقاء ياترى شأن : قریش ، ونمير ، واسيد ، وبكر ، وكنب ، وجحش .. وغيرهم من بنى جلدتهم العرب الذين تسموا باسماء الحيوانات المعروفة ؟ ان صح ذلك فربما كان الفينيقيون تسموا - من باب الفخر مثلا - باسم هذا الطائر الخرافي السرى الذي لا تدركه الابصار ولا يبرزهم فيه أحد من بنى الحيوانات الاخرى التى تسمى بها سواهم (كمظهر من مظاهر الطوطمية التى تدل الدلائل على أنها كانت شائعة في بلاد العرب قديما كما كانت شائعة في غيرها من أرجاء العالم) . هذا أيضا مجرد تخمين لعل احتمال الخطأ فيه أكبر من احتمال الصواب ، ومهما قلنا فيه لا نخرج عن نطاق التظنى الذى لا يعطى قناعة ولا يحسم جدلا .. ولا سيما أن اسم الفينيقيين ورد في اللاتينية بصيغ أخرى لا علاقة لها بالعنقاء. وأهمها : Poenorum و Puniceus و Poeniceus . Poeni .

ويلاحظ أن هذه الصيغ تبدأ بحرف الباء الاعجبية المركزة (P) بالاضافة الى صيغ أخرى تبدأ بالفاء (Ph) مثل : Phoenicum و Phoenice و Phoenices التى يرجع أصلها الى الصيغة الاغريقية (Foinikes) . فكيف جاء الخلط بين اسم العنقاء واسم الفينيقيين وفينيس ؟ هذه مشكلة رابعة . وأما اسم فنيقيا (وطن الفينيقيين) فهو في اللاتينية Phoenice و Phoenices و Phoenica و Phoeniae . وهذه الصيغ أيضا مقتبسة بشى من التحوير من الاغريقية (Foiniké) وهنا مشكلة خامسة هي : هل اسم فنيقيا مشتق من اسم الشعب الفينيقى مثل اشتقاق اسم (فرنسا) من اسم القبائل الجرمانية المسماة (فرانك Frank) أم ان اسم الشعب الفينيقى هو الذى جاء من اسم الارض التى

الذي يبعث الدهشة في هذا الاستهلال المؤثر أن القوم كانوا لا يزالون يذكرون أنهم ينتمون الى بنى كنعان حتى بعد خروجهم من أرض كنعان وتأسيس (القرية الحديثة) بنحو ستة قرون ، بل حتى بعد هجرتهم من قريتهم الحديثة ثم عبورهم المحيط الاطلسي الى العدوة الاخرى في أمريكا الجنوبية - دار الغربية النائية تلك . ولا يستطيع أن أستنتج من هذا الا اعتدادهم بنسبهم العريق على الرغم من بعد الشقة مكانا وزمانا .

وعلى الرغم مما كانوا فيه من محنة تمنعهم من المباهاة لا نخطيء أن نستشف من لحن كلامهم صوت الكرامة الجريئة تخاطبنا من وراء واحد وعشرين قرنا ، وكأنني بهم انما يقصدون أن يقولوا : «ليس حراما أن نحصل هكذا .. (ونحن بنو كنعان؟)»

ان للوثيقة خطيرة متعددة الجوانب في الحقيقة جديرة بالدرس كلها . فليت هؤلاء القرطاجيين الذين ما زالوا ينتسبون الى اجدادهم البعيدين بنى كنعان قد ذكروا لنا كذلك اسمهم الدولي الذي صاغ منه الاغريق اسم فنيقيا والفينيقيين .

ولكن مهلا .. لقد ذكرهم . انه : «بنى كنعان» ! أجل ان كلمة Foinikes الاغريقية ليست الا (بنى كنعان) بتحريف يسير ، كثيرا ما يقع مثله واكبر منه عند انتقال الكلمة من لغة الى لغة . وصياغة Foinikes من (بنى كنعان) بلسان أجنب كثير التحريف ليست أغرب من صياغة foinix من (العنقاء) ، ولا أعجب من صياغة Cartago من (قريات حديشات) .

وكلمة Cartago هذه لا تتضمن الا الحروف المشطوب تحتها من (قريات حديشات) : ق ر ي ا ت ح د ي ش ا ت .. وهي أربعة حروف من أحد عشر ، أى نحو الثلث . أما كلمة Foinikes فتحوى جميع حروف النصف الاول من (بنى كنعان) : ب ن ي ك ن ع ا ن . ولعل اللفظة الاغريقية كانت أكمل فس أول عهدهم من اقتباسها وأقرب الى أصلها العربي ثم اختزلوها . أما ابدال حرف الباء فاذا فى أول الكلمة

فهو أسهل من ابدال العين فاء في (عنقاء) ، ولا لوم على الاغريق فيه على كل حال لان العرب أيضا فعلوا ذلك مختارين في لغتهم العربية فقالوا مثلا الخربشة والخرفشة ، وجيب القنب ووجيفه ، الابلسج والافلسج ، يخبتي، ويختفن ، يقصب ويقصف ، يبيح الدم ويفيحه .

وأما تغيير حركة الفتحة على الحرف الاول بالضمة أو شبهها فما أكثر أمثاله في العربية . من ذلك : القمة (بكسر القاف) والقلعة والبقنة (بضمه فى كتيههما) . ومن ذلك (السرعة) فبنى عندهم : السرعة (كالعندة) ، والسرعة (كالسحابة) ، والسرعة (كالعنب) ، والسرعة (كالغضب) ، والسرعة (كالصدق) ، والسرعة (كالشرع) والنماذج من ابدال الحروف والحركات فى العربية لاتكاد تحصى لكثرتها وتنوعها .

واذا تذكرنا أن كلمة (بنزين benzine) الاوربية من أصل عربي هو (لبان جاوه) وهو نوع من الصمغ العطر كان العرب يصدرونه الى أوروبا - وقد تطورت فى الفرنسية من luban jaoua الى benjoin وفى الانجليزية من benjoin الى benzoin الى benzole الى benzene الى benzine الى - اذا تذكرنا ذلك أصبح تطور اسم (بنى كنعان) الى Foinikes أمرا هينا ، سهل التصديق ، ولا سيما ان الاغريق يعجزون عن نطق صوت العين فحذفوه مع ما بعده ، وحذفوا النون الذى قبله اختصارا لهذا الاسم الطويل ، كالذى فعل اللاتين من بعدهم باسم قريات حديشات . ولعل تطور اسم (بنى كنعان) الى Foinikes قد جرى على مراحل مثل تطور (لبان جاوه) الى (بنزين) . (I)

ومهما يكن فلا مجال لنا ان نتجاهل الامر الواقع وهو أن اللاتين كانوا يسمون الفينيقيين والقرطاجيين فنيقيين Foinikes كما تشهد المعاجم والمائسورات وأن القرطاجيين كانوا يسمون أنفسهم (بنى كنعان) كما تصرح رخامة البرازيل . وواضح ان هذا الاسم من ذاك لفظا ومعنى .

ويظهر أن اللاتين قد أخذوا عن الاغريق صيغتهم

(I) شرحنا ذلك وأمثاله من تحريفات الاعاجم في العدد الثاني من مجلة (اللسان العربي) تحت عنوان

« تأثير الاعاجم في لغة العرب » . ص 20 .

Phoenices بالفاء، ثم استخرجوا منها صيغة
Phoenice و Phoenicum .. ولكنهم
وجدوا بعد ذلك عن طريق الاحتكاك بالفنيقيين - بنى
كنعان - ان الاصوب نطق الاسم بالباء ، لا بالفاء ،
فقالوا : Poenicus و Poenicus و Puniceus
و Punicus و Poenorum و Poeni

وهذا أيضا غير نادر الحدوث ، وقد وقع مثله للعرب
فى جيلنا هذا بتأثير الكتب المصرية ، فهى تذكر اسم
الانكليز مثلا (الانجليز) بالجيم حسب النطق المصرى .
وقد ظل عرب الشرق الاوسط الذين تعلموا فى مطالع
هذا القرن بالكتب المصرية يكتبون الاسم وينطقونه
بالجيم ، ثم صححوه نطقهم مع الزمن فصاروا ينطقونه
بالكاف الفارسية ، ولو أنهم يكتبونه بالكاف العربية .
على أن المفارقة مازالوا ينطقونه ويكتبونه بالجيم ، بسبب
تأخر دخول الكتب المصرية ديارهم ، ولاشك أنهم سوف
يصححون ذلك كذلك بعد حين .

فعمل شيئا مثل هذا قد حدث لكلمة foinix
الاغريقية اذ اقتبسها الرومان بالفاء، أول الامر نطقا
وكتابة ثم صححوها فكتبوها بالباء - الباء المركزة (P)
- لانها أقرب الى الاصل العربى من الفاء، على كل حال.
وتمايشت الصيغتان - الفائية والبائية - وتطورتا ،
ثم كثرت الصيغ البائية كالذى رأينا .

ومن الطريف ان نجد بين التحويرات الآتفة صيغة
(Poeni) وهى اختزال آخر ، وكانا أرادوا به
الاكتفاء بالجزء الأول من الاسم العربى : (بنى ..)

وإذا عدنا الآن الى مشاكلنا السمت فاستمرضناهما
واحدة واحدة نجدهما قد انحلت جميعا من تلقاء نفسها
بجرد معرفتنا ان Foinikes بنى كنعان.

قلوبا : ليست كلمة فنيقيا أو الفنيقيين من مادة
(الفتق) العربية ، ولا صلة لها بالجميل الفنيسق ولا
الغلام المتفتق ... ولا الوعاء الذى هو أصفر من الفرارة.

ثانيا : انها ليست كلمة اغريقية وضعها الاغريق من
لغتهم للدلالة على الفنيقيين ، وانما هى كلمة عربية
مؤغرة ببعض التحريف كما هى المادة فى اقتباس

الالفاظ من لغة الى لغة .

ثالثا : ان اسم الفنيقيين ليس مشتقا من اسم
(فنيقس) (Foinix) ابن امينتور بطل الحرب
الطروادية ، ولا هو ابو الفنيقيين . وانما يظهر أن العكس
هو الصحيح ، أى ان فنيقس بن امينتور هذا لما كان من
بنى كنعان - ومعلوم أنه ابن الملك الفنيقى المشهور
أجيتور ، أخوه قدموس واخته اوربا - لما كان من بنى
كنعان سمي فى الاغريقية باسمهم كما نقول نحن :
فلان الحجازى او العراقى او اللبنانيى - ولما كانت
الاساطير كثيرا ما تتخذ اسم الشخص رمزا لاسم قبيل
او شعب أو طبقة من الناس فمن المحتمل أيضا ان بنى
كنعان - بعضهم - اشتركوا فى حرب طروادة الى جانب
الاغريق وأبدوا بسالة سجلتها لهم الاساطير ، ورمزت
اليهم بالبطل فنيقس Foinix

أما ان هذه الكلمة تدل فى الاغريقية على العنقا،
- رابعا - فالذى نراه هو أن الشبه الشديد بين اسم
الفنيقيين (Foinikes) واسم العنقا، Foinix.

فى لغة الاغريق أنضى الى التباس الاسمين عليهم
فخلطوا بينهما كما خلطوا بين اسمى سوريا (Syria)
وأشور (Assyria) ، وكان خلط الانكليز بين كلمة
benjoin التى سبق الحديث عنها واسم بنيامين
(Benjamin) فاستعملوا هذا الاسم التوراتسى
المشهور بمعنى الاسم الاول أى الصمخ الجاوى . وبسبب
مثل هذا التشابه اللفظى يقال للهر فى لغة الموصل
(هارون) ! وما أكثر ما تتحد كلمتان فى كلمة واحدة
اذا تشابه نطقهما او معناهما ، خصوصا اذا كانتا
أجنبيتين .. وعلى هذا أصبح من الواضح ان اسم
الفنيقيين لا علاقة له بالعنقا، سواء آكانت لاسم البطل
فنيقس علاقة بها أم لم تكن .

وبات بديها لدينا الآن - خامسا - ان اسم الشعب
الفنيقى ليس مشتقا من اسم فنيقيا ، بل ان اسم فنيقيا
هو المشتق من الفنيقيين - بنى كنعان - كما يحلو لهم
أن نسميهم . واتضح ان اسم (فنيقيا) لا وجود له عند
أهل فنيقيا نفسها على كل حال . وانما هو اسم صاغه
الاجانب من اسم الكنعانيين للدلالة على موطنهم .

سادسا : عرفنا الآن لماذا كان اللاتين يطلقون اسم
الفنيقيين على القرطاجيين أيضا . فليس السبب هو

اخلافهم العرب فى نفس المناطق تقريبا بعد الفتوح
الاسلامية . لهذا يحتمل ان يكونوا قد اتوا البرازيل
من اى ربع من تلك الربوع التى كانت تتكلم اللسان
انقرطاجى .

ولكن يمكن الظن انهم من الموريطانيين المغاربة -
القرطاجيين خاصة او الكنعانيين عامة ممن كانوا قد
استقروا فى موريطانيا المغربية - لانهم اقرب جغرافيا
الى امريكا . وحتى ان كانوا من قرطاجنة او غيرها من
الامصار فلا بد ان نقطة انطلاقهم - او مرورهم - كانت
من بعض الموانئ الواقعة على المحيط الاطلسى ،
ولا سيما ان كانوا قد عبروه من الجنوب ، وهو الارجع
ولا سيما لكونهم فى امريكا الجنوبية .

فعلى هذا يسعنا ان نعتبر مكتشفى امريكا هؤلاء .
- ان لم يكن قد سبقهم بعض العرب او غيرهم الى
اكتشافها - يسعنا ان نعتبرهم من المغاربة ، ولو مؤقتا ،
الى ان يظهر برهان صريح يؤيد ذلك او يفنده .
عبد الحق فاضل

معرفة اللاتين بان القرطاجيين ينحدرون من اصل فينيقى
كما يتوهم المعجميون ، ولا هو كونهم - اللاتين - نقلوا
هذه التسمية المزدوجة عن الاغريق كما قد يتبادر الى
الذهن ، وانما السبب البسيط العجيب هو ان
القرطاجيين انفسهم طفقوا الى عهود متأخرة يذكر
نجاهم السحيق ويتسمون بأبوتهم العرب الشاميين
(بنى كنعان) حتى بعد ان اندثرت قرطاجنة ، وحتى بعد
ان نزحوا الى امريكا .

رنة مشكلة صعبة لا احسبنا قادرين على ايجاد حل
نهائى مقنع لها الآن ، وهى السؤال : من هم هؤلاء
الذين خلفوا هذه الوثيقة المرمرية فى البرازيل ؟
صحيح انهم من بنى كنعان كما صرحوا وان لغتهم
القرطاجية كما تقول اكتبتهم ، ولكن هذه اللفظة كانت
شائعة فى شمال افريقيا وغربها وغربى أوروبا أيضا
ولا سيما فى شيبجزيرة (شبه جزيرة) ايبيريا . وقد
كان بنو كنعان منتشرين فى هذه الاصقاع مثل انتشار